تجديد الخطاب الديني عند محمّد عمارة وتجلّياته في الواقع

Renewing the religious discourse of Muhammad Emara and its manifestations in reality

ط.د سجعي مريم[1]

أ.د خليفي الشيخ♣

تاريخ الإرسال: 2021/12/25	تاريخ القبول: 2025/05/29	تاريخ النشر: 2025/06/20

الملخص:

لقد اختلفت مناهج المفكرين الاسلاميين وطرقهم في عرض الخطاب الديني، فمنهم من كان خطابه عقليا ومنهم من كان خطابه عاطفيّا، ومنهم من زاوج بين العقلي والوجدانيّ، ومنهم من نحى نحوا آخر فكان خطابه فلسفيا، لكن جلّ هذه الخطابات على اختلاف أشكالها كانت تطمح إلى إصلاح المجتمع وعلاج انحرافاته، فعندما نتحدّث عن الخطابات الدينية في الفكر العربي الاسلامي نجدها خطابات استدعتها ظروف معيّنة وفرضتها انشغالات واقعية، ومن أبرز هذه المساهمات ما تقدّم به محمد عمارة في مشروعه الفكري الذي تمثل في رؤية تكاملية تجمع بين التنظير للخطاب الديني المعاصر وتقويمه له من جهة، ومن جهة أخرى اقتراحه لبدائل موضوعية ذات صلة بالواقع وتحوّلاته، وهذه الرؤية التي في تقديرنا تراعي الواقع وتحولاته وتستجيب لمشاكله هو ما تلخصه هذه الورقة البحثية في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: التجديد، الخطاب الديني، المستجدّات، الواقع.

1 مخبر الدراسات الشرعية جامعة تلمسان (الجزائر)، meriemsedj@gmail.com

♣ مخبر الدراسات الشرعية جامعة تلمسان (الجزائر)، khelificheikh@gmail.com

Abstract:

The approaches and methods of Islamic thinkers differed in presenting religious discourse. And the treatment of its deviations. When we talk about religious discourses in Arab-Islamic thought, we find discourses that were summoned by certain circumstances and imposed by realistic preoccupations. Among the most prominent of these contributions is what Muhammad Emara presented in his intellectual project, which was represented in an integrative vision that combines theorizing and evaluation of contemporary religious discourse on the one hand, and on the other hand his proposal for objective alternatives related to reality and its transformations. What this research paper summarizes in this study.

***Key words**: renewal, religious discourse, developments, reality.*

المؤلف المرسل: سجعي مريم، meriemsedj@gmail.com

1. مقدمة:

يعدّ محمّد عمارة من أبرز المفكرين الاسلاميين الذين اهتمّوا بتقديم مشروع حضاري متكامل من أجل احداث النهضة في العالم العربي الذي يعاني من أزمة تخلّف مسّت كلّ الجوانب وعلى رأسها الجانب الفكري، فانطمست هويّته التي تمتاز بالخصوصية الاسلامية، وضاعت غايته التي تكمن في عمارة الأرض وحسن الاستخلاف فيها، وهذا راجع إلى عجز الخطاب الديني عن أداء وظيفته في التوجيه، وتفريغه من محتواه الاجتماعي، بحيث لم تعد مظاهر السلوك الانساني المختلفة تندفع في تلقائية ووضوح من مرجعياتها الدينية، فكانت هذه من أهمّ الأسباب والعوامل التي دعت محمّد عمارة إلى التأكيد على ضرورة تجديد الخطاب الديني بما يتناسب مع متطلّبات ومستجدّات العصر الراهنة حتى يكون له أثر وثمرة في الواقع المعاش، سواء في بناء الإنسان الحضاري الواعي، أو وصولا إلى مجتمع منتج راقي، لا مجرّد تنظير فلسفي فارغ لا طائل منه، ولا أثر يقصده أو واقع يصلحه، مع التأكيد على الحفاظ على الثوابت والأصول التي لا يقوم الفكر الاسلامي إلّا بها، ولا يكون الخطاب خطابا دينيّا إلّا بالرجوع

إليها والانطلاق منها، وهذا ما ميّز التجديد في مشروع محمد عمارة الفكري الذي هو أساسا تجديد في الفروع وتمسّك بالأصول، فيكون بذلك الخطاب جديدا في أسلوبه وفي طريقة عرضه وفي قضاياه التي تخدم المجتمع وتنطلق من انشغالاته واهتماماته، وهذا ما يصطلح عليه بواقعية وموضوعية الخطاب.

وسنحاول من خلال هذه الدراسة البحثية الاجابة على الاشكالات الآتية: ما المقصود بتجديد الخطاب الديني عند محمّد عمارة؟ وما هي دواعي وبواعث هذا التجديد؟ وما أسباب تراجع الخطاب الديني؟ وكيف نعيد إحياءه من جديد؟

أمّا فيما يخصّ المنهج فسأتبع المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال تتبع مؤلفاته التي أشار فيها إلى مشروعه التجديدي ومحاولة تحليلها وصولا إلى بيان قواعد تجديد الخطاب عنده، سواء ما تعلق منها بجانبها النظري أو بعدها العملي التطبيقي.

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

2. مفهوم التجديد عند محمّد عمارة:

لقد اختلفت دلالات مصطلح التجديد في الفكر الإسلامي، هل هو تأسيس لفكر جديد أم احياء لفكر لقديم؟ هذا الاختلاف ولّد اشكالية في معنى التجديد أدّى إلى التحفّظ عليه من طرف نخبة من المفكّرين، قد تصل إلى حدّ الرفض والانتقاد خاصّة من طرف المقلّدين الذين يتمسّكون بحرفية النصوص ويرون في التجديد نقيضا لاكتمال الدين بمقتضى قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم..." (المائدة :3) ومن جهة أخرى استخدام التيار الحداثي الدخيل على الفكر الإسلامي للمصطلح كشعار لمشروعهم النهضوي الداعي إلى القطيعة المعرفية مع الثوابت والأصول، وتجاوز التراث الديني وإلغائه بدعوى تاريخيته.

ومن هنا أوجب محمّد عمارة ضرورة تحديد مفهوم التجديد بدقّة لتحريره من هذه الملابسات فالتجديد عنده يعني "البعث والإحياء لثوابت الدين وأصوله، مع التطوّر في فقه الفروع، مواكبة لمستجدّات الواقع المعيش، وحفاظا في ذات الوقت على

صلاح وصلاحية الثوابت والأصول الدينية لكلّ زمان ومكان "[1]، وبهذا التعريف يتّضح التناقض بين التجديد الذي يقوم على الحفاظ على التراث الديني والتمسّك به، وبين الحداثة التي تنطلق من تحرير الفكر من سلطة التراث وتجاوزه، في حين أنّ كلاهما – التجديد والحداثة- يعبّران عن مشروع حضاري نهضوي إلّا أنّ مبادئهما ومنطلقاتهما الفكرية متناقضة تماما سواء من حيث المحتوى أو المضمون، أو من حيث المنهج والأسلوب .

كما أنّ "التجديد في الفكر الإسلامي هو سنّة وضرورة وقانون، بدونه تحدث الفجوة بين الشريعة الإسلامية التي هي وضع إلهي ثابت وبين مقتضيات ومتطلّبات الواقع المتغيّر والمتطوّر، الأمر الذي لو ساد الجمود والتقليد في الفكر والفقه والخطاب الديني يفضي إلى انفلات الواقع المتطوّر من حاكميّة الشريعة الثابتة "[2]، وينبّه محمّد عمارة هاهنا إلى خطورة التمسّك بحرفيّة النصوص، فالواقع في تغيّر مستمّر هذا التغيّر يستلزم تجديدا في الخطاب أو الطرح الديني بما يتناسب مع هذه المستجدّات وهذا ما يسمّى بفقه الواقع، مع الحفاظ على الثوابت والأصول وهي ما اكتمل من الدين باكتمال الرسالة المحمّدية وإلّا حدث هناك انفصال بين النظر والعمل فيُفرغ الدين من محتواه الاجتماعي ويُحكم عليه بالتحجّر وانتهاء الصلاحية. "فالتجديد هو السبيل لامتداد تأثيرات الدين الكامل وثوابته إلى الميادين الجديدة والأمور المستحدثة، والضمان لبقاء الأصول صالحة دائما لكل زمان ومكان، أي هي السبيل لاستمرارية الدين"[3]. انّ مفهوم التجديد عند محمد عمارة له أبعاد فكرية عميقة، حيث التمس فيه الدقّة التي تزيل عنه كلّ الملابسات[4]وتحدّد أهدافه المرجوّة ومبادئه الأساسية النابعة من خصوصيته وأصالته كما تميّزه عن غيره من المشاريع التجديدية.

3. أنواع الخطاب الديني:

لتحديد نوعية أي خطاب ينظر عادة إلى موضوعه والقضايا التي يعالجها والإشكالات التي يثيرها والخطاب في اللغة عند الراغب الأصفهاني من "الخطب والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام.. وفصل الخطاب : ما ينفصل به الأمر من الخطاب[5]"، والغرض من الخطاب كما جاء عند الجرجاني "ترغيب الناس فيما ينفعهم

من أمور معاشهم ومعادهم" (الجرجاني، 1996، صفحة 134)، وهذا يعني أن من خطاب الكلام ما تقوم به الحجّة على المخاطب وتلزمه بمعناه وقد يكون موجّها إلى فرد أو جماعة، كما قد يتحدد نوعه أيضا بحسب المخاطب والمخاطب به ومحتواه، ولعلّ من أنواع الخطاب التي كثر الحديث فيها والاهتمام بها في عصرنا الخطاب الديني وخاصة منه الإسلامي لظرف ارتبطت فيه أهمّيته بالتحوّلات التي شهدها العالم، وفي دوره في بناء الوعي وتوجيهه، وقد قسّم محمد عمارة الخطاب الديني إلى أربعة أقسام نوردها بترتيبها عنده وهي كالآتي :

1.3 خطاب الوسطية الإسلامية: يتميّز باعتماده على الوحي والكون أي عالم الغيب والشهادة كمصدرين للمعرفة، والاعتماد في سبيلها وآلياتها وطرائقها على كلّ من: العقل والنقل والتجربة والوجدان ليصبح الخطاب الاسلامي مزيجا من ثمرات هذه المصادر، فيصبح العلم المادّي سبيلا لتعميق الإيمان الديني والعقلانية المؤمنة، وهذا الخطاب الوسطى هو أوسع الخطابات ذيوعا وانتشارا في العالم الإسلامي.

2.3 الخطاب الصوفي: الذي يرتكز على الوجدان وعلم القلوب والإلهامات والفيوضات التي تثمرها المجاهدات الروحية، وهو خطاب له أهله العارفون بمقاماته وأحواله، وفي داخل هذا الخطاب ألوان من التنوّع والتعدّد حسب درجات المقامات والأحوال، ووفق درجات الالتزام بأحكام الشريعة ومنطقها، وهو بالطبع مغاير لما في كثير من الطرق الصوفية من بدع وخرافات لا علاقة لها أصلا بأي أصل من أصول الإسلام، ولا قبول لها بأي معيار من معايير عقلانية الإسلام.

3.3 الخطاب النصوصي: والذي ينفر أصحابه من النظر العقلي فيقفون فقط عند حرفية ظواهر النصوص، دون إعمال للعقل في مقاصد هذه النصوص، وحجم هذا الخطاب وحجم جمهوره محدودان مقارنة بحجم وجمهور خطاب الوسطية الإسلامية، لكن المال النفطي والإعلام الغربي قد نفخا في حجم هذا الخطاب النصوصي الحرفي، كي يوهما أنّه هو الأكبر والأوسع انتشارا في العالم الإسلامي، وذلك لحجب الأنظار عن الخطاب الوسطي المعتدل، ولتشويه الصورة العامّة للخطاب الديني الإسلامي.

4.3 خطاب الرفض والغضب والعنف والاحتجاج: يمثّله فصيل من فصائل فقه وفكر نصوصية الجمود والتقليد الذي استفزّه بؤس الواقع الذي يعيشه المسلمون تحت هيمنة الغرب واستبداد النظم والحكومات المصنوعة أو المحروسة غربيّا، فرفض هذا الفصيل طريق الإصلاح واختار طريق العنف وتعجّل القفز على السلطة والدولة بالانقلاب بدلا من مشاقّ الإصلاح الذي يمثّل منهاج الإسلام في أي تغيير[6].

وبالتالي فإنّ الخطاب الديني عند محمّد عمارة لا ينحصر في اتجاه واحد، وانّما هو يختلف باختلاف الجهة التي تتبنّاه والفكر الذي تقوم عليه والأسس أو المبادئ التي تعتمدها في بناء هذا الخطاب، وبهذا نفرّق بين الخطاب المتطرّف العنيف الذي عُمّم على العالم الإسلامي فاتّهم بالإرهاب والهمجيّة، وبين الخطاب النصوصي الذي تبنّته بعض الحكومات وفرضته باسم السلطة والقوّة، فحكمت بذلك على الفكر الإسلامي بالجمود والتحجّر ورفضت أي محاولة اجتهاد أو تجديد فطمست بذلك حقيقة الخطاب الديني.

4. دواعي وبواعث تجديد الخطاب الدّيني:

لم تكن فكرة التجديد مجرّد فكرة أو مشروع نشأ من فراغ عند المفكرين الإسلاميّين، وإنّما استدعته الظروف والمستجدّات التي طرأت على الواقع، والتي كانت بمثابة باعث ودافع لهذا التجديد جعلت منه ضرورة حضارية للنهوض بهذا الخطاب وبالتالي النهوض بالأمّة الإسلامية ومن بين هذه البواعث:

الغزو الاستعماري الحديث للعالم الإسلامي الذي جاء مصحوبا بالغزو الفكري والذي تصدّى له علماء مدرسة الإحياء والتجديد واليقظة الاسلامية أمثال جمال الدين الأفغاني، ومحمّد عبده، ورشيد رضا وغيرهم ممّن رؤوا أنّ تجديد الفكر والفقه والخطاب الديني أصبح أكثر ضرورة وأشدّ إلحاحا لأنّه السبيل لتقديم البديل الاسلامي الصالح لتلبية احتياجات ومتطلبات الواقع[7]، لا بدّ من الاشارة هنا أنّ الاستعمار خلّف انحرافات وشبه عقدية خطيرة من بينها : الاستعمار قضاء وقدر، طاعة وليّ الأمر واجبة بغضّ النظر عن عقيدته، فتولدّت ضرورة حتمية لتجديد الخطاب الديني من أجل

محاربة هذه البدع والخرافات والعودة بالدين إلى أصله لتحرير العقول ومن بعدها تحرير الأوطان.

الفراغ الفكري في العالم العربي الذي خلّفه الجمود والتقليد ورفض الاجتهاد لمواكبة متطلبات وتحديّات العصر، والذي كان له دور كبير في ظهور تيارات فكرية ذات طابع غربي لا علاقة لها بالخصوصية العربية الاسلامية كالتيّار الحداثي الذي يقوم على القطيعة المعرفية مع الثوابت والأصول الدينية التي لا يقوم الفكر الإسلامي إلّا بها، والذي فرض نفسه كبديل فكري لملىء هذا الفراغ، فكان لا بدّ من تبنّي مشروع التجديد لتحقيق التنافس الحضاري والتصدي لهذه التيارات الدخيلة، بحيث يقوم هذا التجديد على الاجتهاد الذي هو "وسط بين غلوّ افراط أهل الجمود الذين يمنعون الاجتهاد مع النص، دونما تمييز بين نصوص عقائد الدين وغيبياته وثوابت الشرائع العبادية والدنيوية وبين نصوص المتغيّرات من الفروع الدنيوية، فيجمدون على أحكام لم تعد تحقق المصالح التي هي علّتها وغايتها، وهو وسط أيضا بين غلوّ التفريط الذي يعمّم الاجتهاد لكلّ النصوص الدينية (والذي يمثله الفكر الحداثي)[8].

عجز الخطاب الديني عن أداء وضيفته وفقدانه لفاعليته واشعاعه الاجتماعي حال دون تحقيقه للأهداف المرجوّة من عمارة الأرض وتحقيق النهضة الحضارية، لأنّه لم يعد يراعي و يتناسب مع العقلية المعاصرة التي تميل إلى الواقعية و تدعن إلى كلّ ما هو حسّي وملموس خاصّة مع تطوّر العلم، بحيث أصبح الخطاب الديني يغلب عليه الطابع النظري دون التطبيقي ويستمدّ مضمونه من قضايا ماضية لم يعد لها صدى في الواقع فلم يعد له أي تأثير أو فاعلية "لأنّه إذا غاب الإيمان بخصوصية العصر وتميّز الزمن، اكتفينا بنماذج السلف في حلّ مشكلات التاريخ وبطرائق القدماء في العيش، وبأنماطهم في التعامل مع وقائع المجتمعات التي عاشوا فيها، فتذبل فينا ملكات الفاعلية وتتوارى الدوافع للإبداع والتجديد"[9].

اضافة إلى التخلّف الذي يعيشه العالم العربي وانبهاره بالتقدّم والتفوّق الغربي ولّد أزمة في الفكر الاسلامي، ولعلّ من أهمّ أسبابها عند محمّد عمارة "أنّنا نعاني من انعدام وضوح الرؤية الاسلامية وفقدان الاتجاه، ومن الضعف الذي يجعل كثرتنا غثاء

كغثاء السيل لا فعل لها ولا تأثير، اضافة إلى أنّنا نعاني من فقر الابداع لافتقارنا إلى الإحساس بخصوصيتنا، لانعدام الانتماء إلى مشروعنا الحضاري الذي يفجّر فينا طاقات الابداع[10]". ومن هنا كان لابدّ من تجديد الخطاب الديني بحيث يكون نابعا من حضارتنا وثقافتنا وواقعنا الذي نعيش فيه، فنحدث نهضتنا التي نطمح إليها وفق معايير مرجعياتنا وخصوصيتنا، بدلا من انغماسنا في ثقافة الغرب وانبهارنا بتقدّمه والسخط على ما نحن فيه من تقهقر وتراجع.

5. أسباب تراجع الخطاب الديني: من أهمّ اسباب تراجع الخطاب الديني:

الصراعات السياسية والحربية على السلطة وعلى الخلافة في العصر العباسي أدّى إلى توزّع الجماعات البشرية بين مؤيّد لآل البيت من العرب ومؤيّد للعباسيين من الفرس، كما شاعت حياة الرفاهية في العرب بعد الفتوحات فضعفت روح الجندية الحافظة للخلافة، ولما جاء عصر الخليفة المعتصم (179هـ-227هـ) أرادت الدولة أن تتخذ لها جيشا قويّا وبدلا من أن تحيي روح الجندية في العرب استعانت بالمماليك، ولكن سرعان ما انقلبت هذه المؤسسة العسكرية على الخلافة في عصر المتوكّل(206هـ-247هـ) وسيطر على حياتنا الفكرية الذين يتعبّدون بالنصوص ويعادون العقلانية فنتج عن ذلك تراجع في دور العقل وقلّة الاجتهاد[11]. تسبّب حكم المماليك بإلغاء العقل كمصدر للمعرفة فأدّى ذلك إلى شيوع التقليد في العلوم كلّها وطال هذا الجمود والتقليد الخطاب الديني إذ أصبح خطابا لا هدفا منه يرجى ولا غاية تنتظر، وإنّما هو مجرّد اجترار لما يريده السلطان وتأكيد له ففقد فعاليته وثمرته في الواقع، وبعد أن كان الخطاب هو الوازع والمحرّك والموجّه من أجل النهوض والرقي صار سببا في الركود والخمول.

استخدام الدولة القوّة لفرض لون من ألوان الفكر فكان ما كان من انقسامات في صفوف العامّة والخاصّة ومثال ذلك محنة خلق القرآن[12]، فكان من تبنّي الحكم لاتجاه معيّن تأثيرات سلبية على الخطاب الديني بحيث أصبح أسير لرأي واحد وان كان بعيدا عن الصواب، فنتج عنه خطاب يهدف لنصرة رأي أو مذهب لا نصرة الحقّ، والأصل في الدولة أن تحتضن كلّ الآراء بدلا من فرض رأي واحد ولا تتدخّل في الشأن

الفكري لأنّ وضيفتها تتمثّل في القيادة السياسية أمّا القيادة الفكرية فهي وظيفة العلماء التي تقوم على الاختلاف والتنوّع، وهذا ما نلاحظه في واقعنا المعاصر فكم من أفكار ميّتة فرضت على المجتمع بتبني السلطة الحاكمة لها، في حين يفترض أن يستمدّ الخطاب قوّته من حضوره و تأثيره وفعاليته في المجتمع لا من فرض الدولة له.

اضطهاد التيار العقلاني المتمثّل في المعتزلة والذي استطاع بهذه العقلانية الاسلامية المتميّزة النهوض بمهمّة مجادلة الفلاسفة واللاهوتيين من أبناء الملل الأخرى، فوظفوا الفلسفة سلاحا بيد الدين وكان لهم في هذا الميدان فضل في نشر الاسلام في بلاد اليونان[13]، هذا الاضطهاد راجع إلى الخلط الذي وقع بين ردّ أفكار المعتزلة التي لا تتوافق مع الشرع واستبعاد العقل الذي هو أشرف ما في الانسان وأصل الابداع والتجديد في حياته، فوقعنا في الحرفية والخرافة والدجل، والحقيقة أنّه لا اعتراض بين التقل الذي يمثّله الشرع وبين العقل، بل إنّ العقل هو أساس فهم النقل والاجتهاد فيه بما يتناسب مع مستجدّات الواقع و تغيّراته، ولولا العقلانية الاسلامية التي تستند إلى الشرع وتنقاد بضوابطه وقواعده التي حددها هو-أي الشرع- لفقد الدين مصداقيته وصلاحيته مع صيرورة هذه المستحدثات و المتغيّرات التي تختلف من عصر إلى آخر.

فقدان فقهائنا الاستقلال وتحوّل الكثير منهم من فقهاء الأمّة إلى فقهاء السلاطين، وذلك راجع إلى انتقال عمارة المساجد من البساطة الإسلامية إلى الفخامة والشموخ المملوكي وارتبط الفقهاء وهم مثقفوا العصر بالدولة كموظفين تابعين لها ماليّا[14]. ففقدنا بذلك سمة استقلالية الفكر والمفكّر وقلّلت عسكرة الدولة من شأن العلوم والفكر، ومن ثمّ من شأن المفكّر فلم تعد الإمامة لمن بلغ في العلم مرتبة الاجتهاد وإنّما غدت السلطنة لمن غلب، وسادت نماذج التبعية والتبرير للسلاطين وتجاوزاتهم وشاعت الركاكة وانتشرت الخرافة وفشا التواكل وزهد الدراويش، وأصابت تصوّرات العامّة وعقائدهم الكثير من مظاهر الشرك وأصبح مشايخ الطرق الصوفية الذين لا علاقة لهم بحقيقة التصوّف هم أعلام العصر وليس الفقهاء[15].

6. كيف نجدّد الخطاب الديني:

لتجديد الخطاب الديني عند محمد عمارة لابدّ من التجديد في الأساليب والمناهج التي يعرض بها الخطاب وكذلك القضايا والمسائل التي هي محتواه ومضمونه وذلك لا يكون إلّا بمراعاة ما يلي:

1.6 نقد ورفض الجمود والتقليد: سواء أكان هذا التقليد تقليدا للسلف وجمودا على تراثهم أو تقليدا للغرب وجمودا على ثقافتهم[16] وليس المقصود هاهنا إلغاء التراث وتجاوزه، أو التنكّر لفهم السلف للدّين كما تدعو إليه الحداثة الغربية والتي للأسف لقت رواجا في العالم العربي في غياب البديل الإسلامي، وإنّما اخضاع الواقع المتغيّر لهذا التراث ومحاولة تقديمه في خطاب يتناسب مع هذه المستجدّات، لأنّ الدّين ثابت ولكن الفهم متجدّد بتجدّد العصر وتطوّره، والتمسّك بحرفية النصوص هو بمثابة التمسّك بأفكار ميّتة لم تعد تخدم الواقع ولا تفقه انشغالاته.

2.6 التجديد الذي يكون بتحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدّين على طريقة سلف الأمّة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارف الدّين إلى ينابيعها الأولى، واعتبار الدّين من ضمن موازين العقل البشري، وإصلاح أساليب اللغة العربية[17]، فنحن نعاني من أزمة فهم وفقه للدّين فكلّ يفهم الدّين بمنظوره، فظهر التعصّب للرأي والنصرة للمذهب لا للحقّ، في حين كان من واجب الخطاب الديني أن يجمع الأمة حول الأصول وإن اختلفت في الفروع، لأنّ الأصل بل والواجب هو توحيد كلمة الأمّة الإسلامية وجمع شملها خاصّة في الوقت الحالي وقد مزّقت شرّ ما تمزيق ومن ناحية التجديد في الخطاب الديني دعا محمّد عمارة إلى تجاوز الخلافات والكشف عن أرضية فكرية مشتركة بين هذه المذاهب والخطابات المختلفة لتحقيق الوحدة. أمّا فيما يخصّ إصلاح أساليب اللغة العربية فهذا ضروري لأنّ الخطاب الديني المعاصر يعاني من ركاكة في الأسلوب، قد تؤدّي إلى الإخلال بالمعنى والانحراف عن الهدف والغاية المرجوّة.

3.6 الإصلاح بالمنهج الإسلامي وليس بالنموذج الغربي الوضعي والعلماني، لأنّ الدين هو قوام الأمّة، وبه فلاحها وفيه سرّ سعادتها، وإذا لم نؤسّس نهوضنا على قواعد ديننا فلا خير لنا فيه ولقد كان الخلل والهبوط الذي اعترى حياتنا من طرح أصول هذا

الدين ونبذها، والعلاج إنّما يكون برجوع الأمّة إلى قواعد دينها[18]، فلا بدّ للخطاب أن يكون نابعا من أصول ديننا مستمدّا من خصوصيتنا الإسلامية لا مستوردا من الحضارات الغربية التي لا تتلاءم لا مع واقعنا ولا مع احتياجاتنا، ولقد شهدت الأمّة الإسلامية عصورا من النهضة والازدهار لم يشهد لها مثيل ابتداءً من عهد الرسالة المحمّدية التي صنعت من مجتمع جاهليّ همجي مجتمعا راقيا يقوم على مبادئ الأخوّة والمساواة والعدل والوحدة ما كان له أن يقوم إلاّ بالإسلام، وإلى غاية الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام وتوسّع الخلافة و تصدّر الأمّة الإسلامية كلّ الأمم وأصبح يحسب لها ألف حساب، فأين هذا الخطاب الذي يعيدنا إلى سابق عهدنا وإلى أصلنا الذي نسيناه أو تناسيناه.

4.6 استدراك القصور المنهجي في الخطاب الديني فيعتمد في صياغة مضمونه على كتاب الله المسطور بآياته المقروءة وكتابه المنظور بآياته المبثوثة في الأنفس والآفاق[19]. كما يعتمد على النقل والعقل معا إذ لا تعارض بينهما في الإسلام، " فالنقل في الاسلام معجزة عقلية والعقل في الاسلام هو سبيل فقه النقل، فهو الأساس للدين ولا بناء بدون أساس"[20]. بل على العكس صار من الضروري استخدام الاستدلالات العقلية والعلمية، وضرب الأمثلة من الواقع الانساني المعاش حتى يكون الخطاب نافذا، ويتلاءم في منهجه وطريقة عرضه مع طبيعة المخاطبين التي تميل إلى الماديّة وتتطلّع إلى كلّ ما هو جديد.

5.6 التجديد في القضايا والمواضيع المطروحة، فنحتاج إلى خطاب ديني يوضّح لنا التصوّر الاسلامي لمكانة الانسان في الكون الذي يقوم على نظريّة الاستخلاف التي وضعت الانسان في مكان الخلافة لخالق هذا الكون، فوجد العقل نفسه مدفوعا بهذا التصوّر المتميّز إلى ابداع نمط جديد من سياسة الدولة والمجتمع والعمران، سياسة تجمع بين ثمرات الاجتهاد الانساني والضوابط الشرعية وتؤلّف ما بين المصالح الدنيوية ومعايير السعادة الأخروية[21]، كما يصحّح نظرة الاسلام إلى الطبيعة باعتبارها مخلوق لله مثل الانسان لها شرف الخلق الالهي، وقد سخّرها الله بكلّ قوامها وطاقاتها لخدمة الانسان فغدا عمرانها التحقيق للأمانة التي حملها الانسان كخليفة لله، فالبحث فيها والنظر في سننها واكتشاف أسرارها عبادة لله،

فاقترن الابداع في العلوم الطبيعية والتجريبية بالإبداع في العلوم الشرعية وكانت العلوم الكونية السبيل إلى معرفة الله وقدرته والسبيل إلى خشيته. فهذه القضايا المهمّة قد غابت عن محتوى الخطاب الديني وكذا غيرها من قضايا الأمّة، كالقضيّة الفلسطينية وقضيّة الوحدة والخلافة الإسلامية، التي هي من صميم حضارتنا واهتماماتنا والتي لابدّ من التنظير لها وتصحيح تصوّرنا اتجاهها.

7. أهم النتائج:

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة التعرّف على فكر محمّد عمارة وبيان نظرته إلى التجديد وما هي أبعاده عنده فخلصنا إلى النتائج التالية:

- إنّ للخطاب الديني أهمّية بالغة في احداث الوعي وتوجيه الفكر، سواء كان موجّها للعامّة في المساجد أو للخاصّة في المؤسّسات العلمية والأكاديمية.

-تجديد الخطاب الديني عند محمّد عمارة هو ضرورة حتمية من أجل استمرارية الدين بالرغم من تغيّر الواقع، كما أنّه يأخذ معنى أبعد وأدقّ من المشروعات التجديدية الأخرى.

-هناك فرق بين التجديد والتغيير أو التطوير، فالتجديد هو حفاظ على الثوابت والأصول وانطلاق منها واجتهاد في المتغيّرات والفروع.

-الخطاب الديني ليس خطابا واحدا كما يتصوّر البعض، وإنّما هو مجموعة من الخطابات تختلف باختلاف الأسس التي يعتمد عليها كلّ خطاب، والفكر الذي يقوم عليه، ومن يتبنّاه.

-خطاب الوسطية الإسلامية هو ما يمثّل بحقّ الخطاب الديني الإسلامي لاعتماده على عالمي الغيب والشهادة، وعلى النقل والعقل كمصادر للمعرفة.

-من دواعي تجديد الخطاب الديني الغزو الاستعماري الحديث للعالم الإسلامي وما خلّفه من تخلّف وكذا الفراغ الفكري الذي أدّى إلى عجز الخطاب الديني وفقدانه لفاعليته.

-من أهمّ أسباب تراجع الخطاب الديني الصراعات السياسية، وتبنّي السلطة لفكر معيّن وفرضه بالقوّة وكدا فقدان سمة استقلالية الفكر والمفكّر.

-لتجديد الخطاب الديني لابدّ من تجديد منهج وأسلوب عرض هذا الخطاب، وكدا محتواه ومضمونه وذلك بتحريره من الجمود والتقليد، ومن التبعية للسلطة.

5. الهوامش:

1 د.محمّد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي و الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، دط، ص7.

2 د.محمّد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي و التبديد الأمريكاني، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 1428هـ-2007م، ص7.

3 د.محمد عمارة، ازالة الشبهات عن معاني المصطلحات، دار السلام للنشر والتوزيع، ط1، 1431هـ-2010م، ص186، 187.

4 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1، 2012، ص166.

5 د.محمّد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي و التبديد الأمريكاني، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 1428هـ-2007م، ص14-18.

6 المرجع نفسه، ص8-10.

7 د.محمد عمارة، النصّ الإسلامي بين الاجتهاد و الجمود و التاريخية، دار الفكر دمشق، ط1، 1419هـ-1998م، ص47.

8 د.محمد عمارة، الإبداع الفكري و الخصوصية الحضارية، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 2007م، ص21

9 د.محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي الحديث، دار الفكر دمشق، ط1، 1419هـ-1998م، ص15، 16.

10 د.محمد عمارة، الاسلام والمستقبل، دار الرشاد القاهرة، ط2، 1418هـ-1997م، ص26، 27.

11 د.محمد عمارة، الطريق إلى اليقظة الاسلامية، دار الشروق، ط1، 1410هـ-1990م، ص89.

12 المرجع نفسه، ص99.

13 د.محمد عمارة، الاسلام والمستقبل، دار الرشاد القاهرة، ط2، 1418هـ-1997م، ص 28-32.

14 د.محمد عمارة، الطريق إلي اليقظة الاسلامية، ص120-126.

15 د.محمّد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي و الحداثة الغربية، ص19.

16 الإمام محمّد عبده مجدّد الدنيا بتجديد الدين، ص14.

17 د.محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، ص21.

18 د. محمد عمارة، الابداع الفكري والخصوصية الحضارية ص38، 39.

19 د.محمد عمارة، الدين والحضارة عوامل امتياز الاسلام، ص31.

20 د. محمد عمارة، الابداع الفكري والخصوصية الحضارية ص29، 30.

21 د.محمد عمارة، الدين والحضارة عوامل امتياز الاسلام، ص24، 25.